الفصـل الخامــس
في آثار الدعوة ما يرد على الخصوم

المبحث الأول: كلمة حول آثار الـدعوة الإصـلاحية وثمارها إجمالاً.

المبحـث الثـاني: أبـرز الآثـار المباركـة والثمـار الطيبة للدعوة:

1- تحقيق العبودية لله تعالى وحده. 2- نشر السنن ومحاربة البدع.

3- التزام منهج السلف الصالح وإظهاره. 4- تحرير مصادر الدين.

5- تحرير منهج الاستدلال. 6- نشر العلم ومحاربة الجهل.

7- الإسهام في النهضة العلمية الحديثة.

8- إظهار شعائر الدين والفضائل وحمايتها.

9- إقامة دولة مسلمة ومجتمع مسلم. 10- تحقيق الجماعة الشرعية والطاعة.

11- تثبيت الأمن. 12- تحرير العقول والقلوب والنفوس.

13- تحكيم شريعة الله حتى كان الدين كله لله تعالى.
14- إقامة الحجة على الناس. 15- إلغاء مظاهر الجاهلية وأعمالها.

المبحث الثالث: استعراض بعض النقول والشهادات في أثر الدعوة في الجزيرة العربية وخارجها.

المبحث الأول
كلمة حول آثار الدعوة الإصلاحية وثمارها إجمالا

حين قامت هذه الدعوة المباركة على أسس الدين الحق، وقواعد الملة الحنيفية واعتمدت على الوحي المعصوم (كتاب الله وسنة رسوله ﷺ)

وتحقق لأهلها ما وعد الله تعالى به عباده المتقين كما قال سبحانه:

[سورة الحج، آية: 40، 41].

وإن عناية هذه الدعوة وأتباعها ودولتها بإعلاء كلمة التوحيد، ونفي الشركيات والبدع وبإقامة الصلاة وصوم رمضان، وإيتاء الزكاة وحج البيت الحرام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هي أعظم سماتها التي تتسم بها إلى اليوم وهي أعظم ما ينقمه عليها الخصوم وأهل الأهواء والشهوات

[illegible]

وكان من أبرز ثمار هذه الدعوة قيام دولة إسلامية قوية مهيبة احتلت موقعاً مرموقاً بين دول العالم كله، والعالم الإسلامي بخاصة هي (دولة آل سعود) منذ أن ناصر مؤسسها إمام الدعوة وآزره على إعلاء كلمة الله. فقد كتب الله لها التمكين، وأعلنت التوحيد وحكمت بشرع الله تعالى، ومع ما تعرضت لـه هذه الدعوة والدولة من تحديات كبيرة، وخصوم أشداء إلا أنها كانت تنتصر في النهاية.

لقد تعرضت الدعوة والدولة (السعودية) في مراحلها الأولى لضربات موجعة لكنها كانت -حين قامت على التوحيد والدين والعدل والسنة- لا تلبث أن تنهض قوية فتية لأنها كانت تسكن القلوب، وقد ذاق الناس في حكمها طعم الإيمان والأمن، والعلم والاجتماع.

ولا يزال الأنموذج الحي للدعوة ودولتها قائماً -بحمد الله- تحتله هذه البلاد المباركة (المملكة العربية السعودية) التي أرسى قواعدها الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه على الأسس

المتينة: التوحيد والشرع والعلم، وبناء دولة حديثة، تجمع بين الأصالة في تحكيم شرع الله وحمايته والدعوة إليه وتعظيم شعائره وخدمة مشاعره، وبين المعاصرة بالأخذ بأسباب القوة والنهضة والرقي، من غير إخلال بالدين والفضيلة.

ونسأل الله لهذه الدعوة وهذه الدولة المزيد من التمكين والنصر والتوفيق وأن يجمع بها كلمة المسلمين على الحق والسنة.

وهذه الآثار الطيبة والثمار البالغة الممتدة طيلة قرنين ونصف، هي الرد العملي والعلمي، الشرعي والمنطقي والواقعي على مفتريات الخصوم، ففي الحال ما يغني عن المقال، لكن حين عميت أبصار أهل الأهواء وبصائرهم عن إدراك الحقيقة والاعتراف بها، وحين حجبت الحقائق عن الجاهلين كان لابد من تجلية الحقيقة: والله المستعان.

المبحث الثاني
أبرز الآثار المباركة والثمار الطيبة للدعوة تفصيلا

أشرت في أول هذا الكتاب إلى شيء من ذلك في بواعث قيام الدعوة وأهدافها الكبرى، فإن البواعث والغايات والأهداف إذا تحققت صارت ثماراً وآثاراً، ومن ذلك:

1- تحقيق العبودية لله تعالى وحده:

تحرير العبادة لله تعالى وحده، وتحصيل الغاية العظمى من خلق الخلق، ومن بعث الرسل كما قال تعالى: [illegible] [illegible].

[illegible]

.

2- نشر السنن ومحاربة البدع:

لقد استطاعت هذه الدعوة المباركة، أن تعلي السنن وتنشرها اعتقاداً وقولاً وعملاً، وأن تحارب البدع والشركيات وتحذر منها ومن

وسائلها، كما تمكنت من إزالة مظاهر البدع والشركيات في كل بلد وصلت إليه دولتها. من المشاهد والمزارات والقباب، وبدع المقابرية، والصوفية، والتشيع، والبدع الكلامية، والفلسفية.

وسلمت من أوضار الشعارات القومية والفكرية والسياسية ونحوها.

3- التزام نهج السلف الصالح وإظهاره:

لقد نجحت هذه الدعوة في التزام سنة النبي [illegible]

4- تحرير مصادر الدين:

وذلك بالعودة إلى مصادر الدين الحق، والمعين الصافي (القرآن والسنة) ونهج السلف الصالح وتنقية مصادر التلقي مما أحدثه أهل البدع والأهواء والافتراق من المحدثات، والاعتماد على أوهام العقول، وآراء الرجال، والأحلام، والكشوف، والأذواق، والأحاديث الموضوعة، والحكايات، ودعاوى العصمة لغير الرسول [illegible]

[illegible]

5- تحرير منهج الاستدلال:

ومجانبة مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع التي تقوم على الاستدلال حسب الأهواء والأوهام والظنون، والتخرصات والفلسفات وتحريف النصوص، والكذب والوضع، والتقليد الأعمى، والتأويلات الفلسفية والباطنية ونحو ذلك.

6- نشر العلم ومحاربة الجهل:

قامت أسس الدعوة على تعليم كتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ

7- الإسهام في النهضة العلمية الحديثة:

لقد حركت هذه الدعوة المباركة الساكن، وأسهمت في تنشيط العلوم النافعة وتحريك النهضة العلمية، والمؤلفات والرسائل والردود والمناظرات، والشعر والخطابة وسائر العلوم والفنون المشروعة.

8- إظهار شعائر الدين والفضائل وحمايتها:

أظهرت الدعوة الاعتزاز بالدين، وإعلان شعائره، من البراءة من الشرك والبدع، وإظهار التوحيد والسنن، وفي إقامة الصلاة وسائر أركان الإسلام على السنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعلان الفضائل، وكبت الرذائل والفواحش، والقيام بواجب الدعوة والجهاد، والعدل والإحسان، وإقامة الحدود.

9- إقامة دولة مسلمة ومجتمع مسلم:

[illegible]

وقد تحقق هذا الحلم، فقد قامت دولة إسلامية، ومجتمع مسلم، على التوحيد والسنة، يطبق شرع الله ويقيم حدوده، في سائر نواحي الحياة الفردية والجماعية، يسوده الدين والفضيلة والأمن والعدل.

وذلك في كل المراحل التي كان للدعوة فيها كيان ودولة منذ عهد الإمامين المؤسسين

(محمد بن عبدالوهاب، ومحمد بن سعود) إلى يومنا هذا.

10- تحقيق الجماعة الشرعية والطاعة:

[illegible]

وتحريم الخروج على الوالي وعدم منازعته، ما لم يرو كفراً بواحاً عندهم عليه من الله برهان.

وبهذا المنهج الشرعي السلفي الأصيل تحقق جمع الشمل وتوحيد الكلمة، والتناصح بين الراعي والرعية.

11- تثبيت الأمن:

لقد شهد الواقع (بحمد الله) أنه كلما تمكنت الدعوة في بلاد وصار لها سلطان عليها نشرت الأمن والاستقرار، والأمن شرط لحفظ الضرورات الخمس التي جاء الدين برعايتها وهي: الدين، والعقل، والنفس، والنسل، والمال. وأكبر عوامل الأمن في بلاد الدعوة (المملكة العربية السعودية) غرس التدين في قلوب الناس على نهج سليم، وتطبيق الشريعة، لا

سيما الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وإقامة العدل بالقضاء الشرعي، ونحو ذلك مما هو من ركائز هذه الدعوة المباركة.

12- تحرير العقول والقلوب والنفوس:

إن الدعوة نشرت الدين والسنة، والدين والسنة يحرران العقول من الأوهام والظنون والتيه والخرافة والضلالة.

ويحرران القلوب من العبودية لغير الله، ومن التعلق بغير الله.

ويحرران النفوس من الشقاء والقلق والتعاسة.

13- تحكيم شرع الله حتى كان الدين كله لله:

كلما تمكنت الدعوة من بلد عملت فيه بشرع الله تعالى في سائر أمور الحياة، وعملت على هيمنة الدين الحق على جميع أحوال الناس، وجميع مناحي الحياة دون التفريق المبتدع بين الدين والدولة، أو بين الدين والسياسية، أو بين الدين والحياة الدنيا.

14- إقامة الحجة على الناس:

بالأنموذج الذي عرضته هذه الدعوة من خلال علمائها وأتباعها، ودولتها، ومن خلال مؤلفاتها ومحاورتها ورسائلها وإعلامها، ومن خلال تجربتها الحية في الدين والمجتمع والدولة وبسائر أحوالها -بهذا الأنموذج قامت الحجة على

الخلق كلهم، على المسلمين المجانبين للسنة والمعرضين عن شرع الله، وعلى غير المسلمين، فقد تحقق فيهم وعد الله وخبر رسوله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين... » الحديث[1].

وإعلان شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.

15- إلغاء مظاهر الجاهلية وأعمالها:

حين تمكنت الدعوة في أغلب جزيرة العرب، وصار لها كيان في مراحل الدولة السعودية والتي استقرت فيما يسمى الآن (المملكة العربية السعودية) ألغت ومحت بالسنة والشريعة السمحة كل مظاهر الجاهلية التي سادت بعد القرون الفاضلة، من العصبية القبلية،و الأعراف والتقاليد العشائرية، والحروب والمنازعات، والفرقة والشتات، والظلم والعدوان وقطع الطريق، والإعراض عن الدين والعلم.

[1] **() سبق تخريجه.**

المبحث الثالث
استعراض بعض النقول والشهادات عن آثار الدعوة

حين أردت عرض نتائج الدعوة وآثارها وثمارها الطيبة على جميع المستويات وجدت أن أغلب فصول هذا الكتاب ومباحثه تؤكد على هذه الحقيقة -أعني- أنه من خلال بيان غايات الدعوة، ومنهجها، وعرض أقوال إمامها وعلمائها،ومواقفهم وعرض شهادات النخبة من العلماء والمفكرين من المسلمين وغير المسلمين وتزكيتهم لهذه الدعوة. من خلال ذلك وغيره مما ورد في ثنايا الكتاب تتجلى الثمار الطيبة والآثار المباركة للدعوة.

لذا اقتصرت في هذا الفصل على ذكر آثار الدعوة مجملة وذكر نماذج من وصف هذه الآثار من أئمة الدعوة ومن غيرهم.

وأول ذلك وصف أحد علماء الدعوة وهو: الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن مذكراً أتباع هذه الدعوة، وما أنعم الله عليهم به في الدين والدنيا:

« وقد: مَنَّ الله عليكم، رحمكم الله، في هذا الزمان، الذي غلبت فيه الجهالات، وفشت بين أهله الضلالات، من يجدد لكم أمر هذا

الدين، ويدعو إلى ما جاء به الرسول الأمين، من الهدى الواضح المستبين؛ وهو: شيخ الإسلام والمسلمين ومجدد ما اندرس من معالم الملة والدين، الشيخ: محمد بن عبدالوهاب، -رحمه الله- تعالى، فبصر الله به من العماية، وهدى بما دعا إليه من الضلالة، وأغنى بما فتح عليكم وعليه من العالة، وحصل من العلم، ما يستبعد على أمثالكم في العادة حتى ظهرت المحجة البيضاء، التي كان عليها صدر هذه الأمة، وأئمتها في باب توحيد الله، بإثبات صفات كماله، ونعوت جلاله والإيمان بقدره، وحكمه في أفعاله فإنه قرر ذلك.

وقد: عمت في زمنه البلوى، بعبادة الأولياء، والصالحين، وغيرهم وفي كل مصر من الأمصار، وبلد من البلدان، وجهة من الجهات، من الآلهة، والأنداد لرب العالمين، ما لا يحصيه إلا الله على اختلاف معبوداتهم، وتباين اعتقاداتهم؛ فمنهم: من يعبد الكواكب، ويخاطبها بالحوائج،ويبخر لها التبخيرات، ويرى أنها تفيض عليه، أو على العالم، وتقضي لهم الحاجات، وتدفع عنهم البليات.

ومنهم: من لا يرى ذلك، ويكفر أهله، ويتبرأ منهم، لكنه قد وقع في عبادة الأنبياء والصالحين، فاعتقد أنه يستغاث بهم في الشدائد والملمات، وأنهم هم الواسطة، في إجابة الدعوات، وتفريج الكربات، فتراه يصرف وجهه إليهم، ويسوي بينهم وبين الله، في الحب، والتعظيم والتوكل، والاعتماد، والدعاء، والاستغاثة، وغير ذلك من أنواع العبادات، وهذا هو: دين جاهلية العرب، الأميين كما أن الأول هو دين الصابئة الكنعانيين.

وقد بعث الله: محمد [illegible]

[illegible] ».

[illegible]: [illegible]

[illegible]

[illegible].

« [illegible]

[illegible]

[illegible]

[

وكذلك: أنكر ما أحدثه جهلة المتصوفة وضلال المبتدعة من التدين والتعبد والمكاء، والتصدية والأغاني التي صدهم بها الشيطان عن سماع آيات القرآن، وصاروا بها من أشباه عباد الأوثان، الذين قال الله فيهم: [سورة الأنفال، آية: 35]، **وكل: من عرف ما جاء به الرسول**

وأرشد -رحمه الله-: إلى ما دل عليه الكتاب، وسنة رسول الله

والمقصود: أن كل خير ونصر وعز وسرور حصل فهو بسبب: متابعة الرسول

ويقول الشيخ أحمد بن حجر آل

[1] () الدرر السنة (1/544-466) باختصار.

أبوطامي تحت عنوان:

« أثر الدعوة في البلاد النجدية »:

« 1- قضت هذه الدعوة المباركة قضاءً تاماً على ما كان شائعاً في « نجد » من الخرافات، وما كان شائعاً من تعظيم القبور والنذر لها، والاعتقاد في بعض الأشجار، وأحيت معالم الشريعة بعد اندثارها.

2- إن أهل نجد، قد رجعوا إلى التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية، كما رجعوا إلى الكتاب والسنة المطهرة، وحكموها في جليل الأمور وحقيرها.

3- كانوا متفرقين، لا تجمعهم رابطة ولا يجمعهم حكم شرعي، ولا قانوني بل كانوا مختلفين ومتفرقين في المشارب والنزعات. فوحدت هذه الدعوة كلمتهم وجمعت شملهم، وجعلتهم تحت راية واحدة وأخضعتهم لسلطان واحد، يسوسهم بكتاب الله المجيد وسنة رسوله.

4- كانوا في نهاية من الجهل والغباوة إلى حد أن اعتقدوا في الأشجار والغيران.

فنشرت الدعوة فيهم، علوم الشريعة المطهرة وآلاتها، من التفسير والحديث، والتوحيد، والفقه والسير والتواريخ، والنحو، وما إلى ذلك من العلوم.

وأصبحت الدرعية كعبة العلوم والمعارف، يفد

إليها طلاب العلوم من سائر النواحي من أرجاء نجد، واليمن والحجاز، والخليج العربي، وانتشر العلم في جميع الطبقات، حتى قال المؤرخون: أصبح الراعي يرعى المواشي في الفيافي ولوح التعليم في عنقه.

حتى من قوة انتشار العلم وسريانه ظهر العلماء الراسخون وألفوا الكتب القيمة في مختلف العلوم، بعد ذلك الجهل العظيم الذي خيم على أرجاء نجد وتركها تتخبط في دياجير الظلمات والأوهام.

[illegible]

6- لم تكن نجد معروفة لدى الأمم، وكانت حقيرة وليس لها حساب ولا ميزان، ولا قيمة، ولم يكن لها ملك، ولا حاكم معروف، ما عدا بعض الأمراء الصغار الذين كانوا يحكمون قرية أو قريتين. فأصبحت نجد ببركة هذه الدعوة مملكة موحدة طار صيتها في الآفاق،ووضعت في صف الأمم.

وكانت الدولة إذ ذاك الدولة العثمانية، حسبت لها ألف حساب وحساب، وخافت على سلطتها وسيطرتها من هذه الدولة السعودية المباركة، حتى جرت الجيوش الجرارة

لمحاربتها، وإماتتها.

7- إنه بقي من آثارها، هذه الدولة السعودية الحاضرة الممتد سلطانها من الخليج العربي شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً.

دولة الكتاب والسنة والتوحيد النقي، دولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دولة نشرت العدل والأمن والسلام.

دولة عززت من مركز العلم، وقامت بنشره بين جميع أفراد الرعية، وكل من يفد إليها. فأسست المعاهد العلمية والكليات، والمدارس وأنفقت الأموال الطائلة للمدرسين والدارسين، سواء كانوا من الوطنيين، أو من غيرهم.

دولة تمثل الصدر الأول والسلف الصالح، في أحكامها وهيمنتها على الأخلاق وتحكيمها للكتاب والسنة.

دولة تسهر على مصالح الرعية، وتعمل لرفاهية الشعب ومحاربة الفقر، ورفع مستوى المعيشة، كما تسهر على راحة الحجاج، وبذل جميع الوسائل لرفاهية الحجاج، وتذليل جميع العقبات أمامهم، وترغيبهم في العودة المرة بعد المرة، إلى حج بيت الله الحرام، وزيارة المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام.

وبالجملة فهي أحسن الدول العربية في تحكيم الشرع، ونشر الأمن والعدل والعلم،و محاربة أهل البدع والضلال، والأخذ على أيدي السفهاء والعابثين بالأخلاق، والمنتهكين الحرمات. أيدها الله ووفقها للخير والنفع العام »[1].

ثم تحدث عن: « انتشارها في الخارج: قائلا:

« انتشرت دعوة الشيخ في خارج نجد من أجل استيلاء الدولة السعودية على مكة المكرمة سنة 1218هـ وأصبح حجاج البلاد الإسلامية يفدون إلى مكة المكرمة ويشاهدون علماء هذه الدعوة الحقة، ويستمعون خطبهم ومواعظهم وإرشاداتهم السديدة وتوجيهاتهم القيمة، كما شاهدوا سيرة الدولة السعودية إذ ذاك، وما هي علي من الاعتصام بالكتاب والسنة، ونشر الأمن والعدل والإنصاف.

[illegible]

فانتقلت هذه المبادئ الإصلاحية إلى السودان في إفريقيا وسومطرة في آسيا

---

[1] **() الشيخ محمد بن عبدالوهاب..... لأحمد بن حجر أبوطامى (74-77) ط(2).**

والهند.

كما انتشرت في العراق والشام ومصر والجزائر وجاوة، وعمان، وفارس.

وكان هدف رعاتها في كل مكان تحل به، هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات وتصحيح العقيدة الدينية »[1].

ويقول الأستاذ أمين سعيد في وصف الأثر الطيب للدعوة:

« [illegible]

وانبثق عن هذا المجتمع دولة عربية كريمة، نشأت في ظل الدعوة وآمنت بها، فكانت أول دولة عربية كبرى يؤسسها العرب في داخل جزيرتهم بعد دولة الخلفاء الراشدين، فاتبعت طريقهم، وترسمت خطاهم فسادت وشادت ووسعت حدودها، وضمت إليها قطر الحجاز وبلاد عسير وتهامة، ودقت أبواب العراق، واكتسحت حدوده، وبلغت مشارف الشام وامتلكت بعض أجزائه، ووضعت يدها على الضفة

[1] () الشيخ محمد بن عبدالوهاب..... لأحمد أبوطامى (74-77) ط(2).

الغربية للخليج (الخليج العربي) وتمتد من المحيط الهندي جنوباً إلى شط العرب شمالاً، ولا يقل طولها عن ألف ميل، فزينت راية التوحيد شطآنها، ورفرفت على ربوعها.

وانتشرت الدعوة في بلاد العرب وبلاد الشام وسرى نورها في أرجائها، فأقبل عليها الكثيرون وأخذوا بها، وتفاعلوا معها، واستجابوا لها فكانت الأم الكبرى لهذه النهضات التي تعم بلاد العرب، وبلاد المسلمين، وتعم الشعوب العربية، والشعوب الإسلامية فأحيت ميت الهمم، وأيقظت خامد النفوس.

[illegible]

ثم قال مبيناً:

« أثر التمسك بالشريعة الإسلامية في الحياة العامة، وأثر الانصراف عنها:

إن العقيدة الراسخة عند النجدين -أمرائهم وعلمائهم- أن الله مكنهم في جزيرة العرب، وأن سلطانهم في تلك الجزيرة لإحياء معالم الشريعة، وإظهار دين الله. وجعل سلطان التوحيد في الجزيرة هو السلطان الأول، وإزالة كل أثرٍ من آثار الشرك.

ولقد قال الإمام سعود في خطبته بعد دخول مكة سنة 1218هـ « إنا كنا من أضعف

[1] **() هذا هو كتاب سير الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب (9-11).**

العرب، ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا إليه، وكل يهزأ بنا ويقاتلنا ».

وكان الملك عبدالعزيز -رحمه الله- في كل مناسبة يشير إلى هذا، ذاكراً فضل الله عليه وعلى أجداده من قبل، وأن ما وقع على آل سعود في أيامهم الأولى لم يكن إلا عقوبة لهم من الله لتهاونهم في أمر المحافظة على الدين والانصراف إلى أمور الدنيا. وكذلك جلالة الملك سعود مد الله في عمره.

ولذا فإن المشايخ -من وقت لآخر- ما زالوا يقدمون النصيحة لإمامهم ويوصونه بالمحافظة على الدين، والأخذ على أيدي المتهاونين به، إذا رأوا شيئاً من التراخي والتهاون من ذوي النفوذ والسلطان.

ففي أيام الإمام فيصل كان الشيخ عبدالرحمن بن حسن وولده الشيخ عبداللطيف لا يتوانيان عن النصيحة ولفت نظر الإمام إلى عماله ورعاياه، وتذكيره بعاقبة التفريط، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ».[1]

وسبق ذكر ما قاله الدكتور طه حسين مبيناً أثر الدعوة على الحركة الدينية

---

[1] **() المصدر السابق (315).**

والأدبية والعلمية والفكرية، والعقلية، وسائر نواحي الحياة (في الفصل السابق)[1].

ويقول محمد جلال كشك:

« إذا كان محمد بن عبدالوهاب من ناحية العقيدة السلفية مبتدع، فهو من الناحية السياسية، مجدد ومبتدع ومبدع، ولقد استطاع أن يوقف حركة التاريخ، ويلوي عنق الأحداث التي كانت تدفع العالم الإسلامي دفعاً إلى التغريب فمع الهزيمة الشاملة التي أصابت العالم [illegible] المحتوم.. كل الخلل أو اتجاه الأحداث، هو خضوع العالم الإسلامي للقانون الضاري العالمي وهو فناء المهزوم [illegible].

[illegible] هو ولا خلفاؤه، فقد شغلتهم حروبهم مع الرافضين المسلمين [illegible]

[1] () انظر: ص(558)، والحياة الأدبية (31-41).

...

فحركة البعث الإسلامي والجامعة الإسلامية، ودعاة الإصلاح الديني، وانتفاضات المهديين والسنوسيين، ليست كلها إلا استجابة متفاوتة الفهم والوضوح، لذلك الجواب الذي طرحه السعوديون: العودة للإسلام تحرر المسلمين من الهزيمة المطبقة وساعد الحل السعودي على البقاء في الساحة »[1].

---

[1] () السعوديون والحل الإسلامي (109، 110).

ويقول أيضاً في موضع آخر في سياق كشف اعتراف خصوم الدعوة:

« بتلك « الدرة السنية »، بل أثمن الدرر، وهي تحويل البدوي أو الشرقي المتخلف إلى نموذج فريد في تفوقه.

ونقطة أخرى تثير إعجاب المراقبين بالإجماع، مهما اختلف موقفهم من التجربة السعودية، وهي الأمن.

ومن محاسن الوهابية، أنهم أماتوا البدع ومحوها، ومن محاسنهم أنهم أمنوا البلاد التي ملكوها، وصار كل ما كان تحت حكمهم، من هذه البراري والقفار، يسلكها الرجل وحده، على حمار بلا خفر، خصوصاً بين الحرمين الشريفين، ومنعوا غزو الأعراب بعضهم لبعض، وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم، من حضرموت إلى الشام كأنهم إخوان أولاد رجل واحد، إلى أن عدم الشر في زمان ابن سعود وانتقلت أخلاق الأعراب من التوحش إلى الإنسانية، وتجد في بعض الأراضي المخصبة: هذا بيت عنزي، وبجانبه بيت عتيبي، وبقربه بيت حربي، وكلهم يرتعون كأنهم إخوان. ورأيت لهم عقيدة منظومة يحفظها حتى رعاة غنمهم، منها:

وما الدين إلا أن تقام شعائر وتأمن سبل

بيننا وشعاب

« فكأنهم جعلوا تأمين الطرقات ركناً من أركان الدين ».

ويبدو أن الشيخ قد اكتشف القانون الحضاري الذي يبدأ بتوفير الأمن، فيقول إن « تحقيق الأمن، يدفع الناس للاشتغال بالزراعة والتجارة وتربية الماشية للتكسب، فإذا اشتغلوا بالكسب الحلال فلا ينهبون ولا يسرفون ولا يقتلون » ثم يلخص لنا اكتشافه « فكأن المسألة أشبه بالدورية[1] أي: أنه متى وجد الأمان، ارتفع السارق والقاتل [illegible] **».**

أفادكم الله...

[illegible]

وقد انتشى ابن بشر في وصف حالة

---

[1] **() أي: الحلقة المفرغة.**

الأمن في ظل الحكم السعودي، حتى قال برعي الذئب مع الغنم، بل بما هو أخطر؛ ترك الملكية بلا حراسة من الإنسان! فقال:

« فسماها الأعراب سنين الكما، لأنهم كموا عليهم عن جميع المظالم الصغار والجسام، فلا يلقى بعضهم في المفازات والمخوفات إلا بالسلام عليكم... وعليكم السلام، والرجل يجلس ويأكل مع قاتل أبيه وأخيه كالإخوان، وزالت سنين الجاهلية وزال البغي والعدوان وسيبت الخيل والجياد والبقر وجميع المواشي في الفلوات، فكانت تلقح وتلد وهي في مواضعها آمنات مطمئنات وليس عندها من يرعاها ويحميها إلا من يأتيها غباً ويسقيها ».

[illegible]

حتى في هذا الوقت استطاع السعوديون أن يقولوا: « نظامنا أفضل » ولسنا بحاجة إلى قوانين الغرب وأنظمته... عندنا الحل الأفضل... ».

« وقد شهد بوركهارت للوهابيين ضد الأتراك فقال: « وما الوهابية إن شئنا أن نصفها إلا الإسلام في طهارته الأولى، وإذا ما أردنا أن نبين الفرق بين الوهابيين والترك، فما علينا إلا أن نحصي الخبائث التي اشتهر بها الترك ».

صدقت!

[illegible]

وقال « إن بعض الكتاب المعاصرين، يزعم أن الوهابيين أنشأوا مذهباً خاصاً بهم، وهو زعم خاطئ، فالوهابيون مجرد إصلاحيين، يتبعون المذهب الحنبلي ».

« ثم المقيم السياسي في الخليج، بل الذي سيشهد الأيام الأخيرة في حياة فيصل بن تركي، والليدي بلنت (1879-1297) التي ستشاهد بقايا الوهابية في جبل شمر وبلاط ابن الرشيد، وسيستمر التدفق حتى شكسبير وفيلبي... وما زال »[1].

ولم يكن تأثير الدعوة الإصلاحي قاصراً على البلاد التي حكمتها دولة الدعوة، بل تعداه إلى سائر البلاد الإسلامية وبلاد الأقليات المسلمة في كل

---

[1] () السعوديون والحل الإسلامي (132-134).

أنحاء العالم، ومن أكثر البلاد المجاورة تأثراً بالدعوة (اليمن) وقد عرض الدكتور عبدالله بن محمد أبوداهش هذا الأمر عرضاً جيداً، إذ قال:

« ومن الواضح أن الناس في اليمن عندئذ قد طلبوا الاستغاثة من غير الله في مجال معاشهم في البر والبحر[1]، ورفعوا الرايات فوق مشاهد الموتي بعبارات الاستجارة بهم من النار[2]، وربما غشيت تلك القبور طوائف كثيرة من الناس، قد يُضاهي بها لديهم الحجاج في عرفات[3]، هذا إلى جانب أن الناس في اليمن قد اعتادوا في بعض الأحيان « السجود للمعتقد »[4] وتخصيص شيء من أموالهم لـه[5]، وكانوا « يوقدون السرج على القبور... ويرحلون بنسائهم[6] » لزياراتها. وقد أنكر عليهم بعض العلماء في اليمن إهمال بيوت الله، وترك العناية بها، في وقت كانت مشاهد الأموات تزدان بالحرير والسجاد الفاخر وغيرها[7].

---

1 () محمد ناصر الخازمي، كتابه السابق (إيقاظ الوسنان)، ورقة 11،4، 24.

2 () حسين بن مهدي النعمي، كتابه السابق، ص(156) [معارج الألباب].

3 () المصدر نفسه ص(161).

4 () المصدر نفسه ص(160).

5 () المصدر نفسه ص(192).

6 () محمد ناصر الخازمي (إيقاظ الوسنان)، ورقة 16.

7 () حسين مهدي النعمي، كتابه السابق، ص(165).

ورغم ذلك وجد من علماء اليمن في القرن الثاني عشر الهجري من يحارب مثل هذه الضلالات، ويتخذ منها موقفاً معادياً، ولعل من أشهر أولئك العلماء: الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير (1099-1182 هـ)، والشيخ حسين بن مهدي النعمي (1187هـ)، إذ برز موقف الأمير جليا تجاه هذه الأمور المحدثة منذ عام 1161هـ/1748م حينما أرشد إمام اليمن حينذاك إلى هدم صنم المخا، وألف من أجله رسالة[1]. وقد قال فيه صديق بن حسن القنوجي بأن « لـه صولة في الصدع بالحق واتباع السنة، وترك البدع »[2]. أما النعمي فقد اشتهر برفضه لهذه المعتقدات الباطلة منذ ألف في هذا الجانب وكتب فيه[3].

وربما كان نشوء هذين الموقفين عند النعمي

---

1 () محمد محمد زبارة، نشر العرف، ج 2، ص 915، انظر: كتاب تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد، للأمير نفسه، وقد قال في مقدمة هذا الكتاب: « وبعد فهذا تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، وجب على تأليفه... لما رأيته وعلمته يقيناً من عموم اتخاذ العباد الأنداد في جميع الأمصار والقرى وجميع البلاد من اليمن والشام ونجد وتهامة وجميع ديار الإسلام وهو الاعتقاد في القبور، أو في الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات... » ورقة 199.

2 () أبجد العلوم، ص(192).

3 () انظر: كتابه معارج الألباب، ورسالته مدارج العبور على مفاسد الأمور.

والأمير بسبب تأثرهما بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبخاصة إذا أدرك موقف محمد بن إسماعيل الأمير من هذه الدعوة حينما قال: « مازالت تبلغنا الأخبار من سنة 1160هـ بأنه ظهر في نجد رجل يدعو إلى اتباع السنة النبوية وينهى عن الابتداع... والاعتقاد في العباد من الأحياء والأموات، وينهى عما نهى عنه رسول الله من العمارة على القبور المشاهد والقباب[1] »، كذلك يدل على تأثر حسين بن مهدي النعمي بالدعوة السلفية قولـه: بأن سبب تأليفه لكتابه معارج الألباب يعود إلى أنه وقف في عام (1177هـ/1763م) على سؤال حول هدم بعض المشاهد والقباب، وأنه كان من قبل هذا التاريخ قد أُلْقي إليه كتاب من مكة المكرمة ورد فيه: « أنه وصل إلى هنالك سؤال في هذه المسألة، وأنه أجاب عليه مفتو الأربعة المذاهب بما يتضمن التشنيع على من دل على هدم القباب والمشاهد[2]»، وربما أوحى قول الأمير من قبل، وكذلك النعمي إلى أنهما قد تأثرا بهذه الدعوة وأنها وافقت ما عندهما كما قال الأمير في شعره.

وإذا كان هذا حال هذين العالمين، ومدى تأثرهما بالدعوة السلفية في القرن الثاني عشر الهجري، فإن

---

1 () إرشاد ذوي الألباب إلى حقيقة أقـوال ابـن عبـدالوهاب، ورقة 393.

2 () معارج الألباب، ص(4، 5).

من أكثر علماء اليمن تأثراً بمنهج الدعوة السلفية في مجال تطهير الاعتقاد فيما بعد إبراهيم بن محمد الأمير (1141-1213هـ)، ومحمد بن علي الشوكاني (1173-1250هـ)، إذ عُرِفَ إبراهيم الأمير بمواقفه تجاه القبوريين[1] وكان الشوكاني ينكر على المعتقدين في غير الله أفعالهم، ويرى أنهم قد خالفوا بذلك مقتضى إفراد العبادة لله وحده[2].

أما الأثر الفعلي لهذه الدعوة السلفية في اليمن، فقد ظهر منذ العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، عندما بدأ العلماء يدركون حقيقة هذه الدعوة وما تدعو إليه من إخلاص التوحيد لله تعالى، بالإضافة إلى ارتياد نفر من علمائها ودعاتها لكثير من بلدان اليمن خلال تلك الفترة، كما أن وفرة الرسائل التي كان يتبادلها العلماء في اليمن وأمثالها في نجد ورجال ألمع[3] قد ساعد على إيجاد أثر فعلي لهذه الدعوة، إذ بدأ الناس في اليمن يلمسون إلحاح علمائها وأمرائها في نشر هذه المبادئ وحقيقتها بتلك الأنحاء.

---

1 () الحسن بن أحمد عاكش، عقود الدرر، ورقم 21.

2 () أدب الطلب، ص(168)، انظر: كذلك الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني نفسه.

3 () انظر: مجموع (567/86) مكتبة الرياض السعودية، ومجموع 186 المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير، وانظر: كذلك نفحات من عسير ص(85).

ولعل من أهم آثار الدعوة السلفية في ميدان تطهير الاعتقاد وذم البدع باليمن اقتناع الأئمة بتلك الأنحاء وعلمائهم بهدم القباب وإزالتها، فقد دلت المصادر على أن الإمام المنصور هدم قبة عابدين المشهورة بصنعاء عام 1220هـ/1807م[1]، وأنه قبل عام 1224هـ « وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها، وفي جهة ذمار وما يتصل بها »[2]. وكان هذا الأمر فيما يبدو قد شجع إمام اليمن المتوكل فيما بعد، وجعله يفضي إلى علماء اليمن برغبته في هدم القباب وإزالتها. وذلك على أثر وصول نفر من علماء الدعوة السلفية إلى صنعاء عام (1229هـ/1813م)[3]. وقد كان موقف علماء صنعاء عندئذ موجباً لهدم تلك القباب، إذ يبدو أن أثر الدعوة قد وقع في قلوبهم، مما جعل الإمام المتوكل حينذاك يباشر هدم معظم القباب المشهورة بصنعاء ويأمر بإبلاغ أمره بهدم القباب بعامة إلى بقية بلدان اليمن[4]، ويؤيد هذا قول

---

1 () لطف الله جحاف، كتابه السابق، ورقم 391، [درر نحور العين).

2 () محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج 2، ص(262، 263).

3 () مجهول، حوليات يمانية، ص(7).

4 () المصدر نفسه، ص(8)، قال صاحب حوليات يمانية في أخبار عام 1229هـ: إن جماعة من الدعاة السلفيين وفدوا

عبدالرحمن بن عبدالله الزميلي بأن شيخه القاضي أحمد العنسي ذكر له، وهو يتلقى العلم على يديه بمدينة إب عام (1359هـ/1940م) أن بمدينتهم تلك آثاراً لقباب مهدمة وأماكن محرقة من عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز[1] (1218-1229هـ)، وإذا صح هذا فإن معظم بلدان اليمن إذن، قد أدركت شيئاً من أثر الدعوة السلفية، وأن ذلك الأثر قد كان في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

وبمثلما أثرت الدعوة السلفية في صنعاء وما حولها، أثرت كذلك في تهامة اليمن وفي حضرموت. أما تهامة اليمن، فبعد أن تمادى أهلها في تعظيم

إلى صنعاء «وخاطبوا المتوكل في خراب القباب المنصوبة على قبور الصالحين، والأئمة الهاديين فجمع الإمام أعيان دولته وعلماء حضرته، وأجاب عليه العلماء، بأنه إذا كان العمل بالشريعة حقيقة لا على أنها مداهنة للنجدي، وقبول قوله فهذه القباب ورفع القبور بدعة لا على الوجه المشروع، كما روي عن أمير المؤمنين بهدمها وتسويتها بالأرض فرجح المتوكل بهدمها وهدمت (الذي) في صنعاء وما حولها: قبة صلاح الدين، وقبة المنصور حسين في الأبهر، وقبة الفليحي، وسدة قبة المهدي العباس التي فيها القبر... وهدمت قبة أحمد بن الحسن في الغراس وأرسل إلى بقية النواحي بهذا »، ص(7، 8).

[1] () مقابلة شخصية مع عبدالرحمن بن عبدالله الزميلي (شوحط في 9/7/1399هـ).

القبور وأقر علماءها « ما يحدث من أنواع الشرك بمرأى ومسمع[1] » أصبحت بعد ذلك في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري « صافية عن تلك الأمور التي كان يتلوث بها أهلها، فلا يقدر أحد منهم يستغيث بغير الله سبحانه أو ينادي ميتاً من الأموات »[2]، ورغم أن الشوكاني حينما أخبر بذلك لم يذكر سبباً مباشراً لتأثرهم غير إعمال السيف فيهم[3]، فهل كان ذلك العمل من قبل أمراء الدعوة في تلك الأنحاء[4]؟ أم هو عمل أئمة صنعاء الذين تأثروا بالدعوة من قبل، وباشروا إزالة ما يمس العقيدة وينافي التوحيد في بلدانهم! والحق أن لكل من الاحتمالين السابقين أثراً فعالاً في دفع تلك المعتقدات ونزعها، وبخاصة إذا أدرك قبول تلك الأجزاء من تهامة اليمن للدعوة السلفية من قبل، وأحيط بجهود أئمة اليمن في سبيل إزالة تلك المنكرات ونبذها.

أما حضرموت فقد ذكرت المصادر أن دعاة هذه الدعوة حينما وفدوا إلى تلك الأنحاء عام 1224هـ هدموا « القباب وحطموا التوابيت ومنعوا الرواتب

---

1 () محمد بن علي الشوكاني، أدب الطلب، ص(171، 172).

2 () محمد بن علي الشوكاني، أدب الطلب، ص(171، 172).

3 () المصدر نفسه ص(172).

4 () يؤكد هذا القول عمل الأمير علي بن مجثل المغيدي عام 1246هـ، حينما عمد إلى هدم القباب وما إليها بهذه الأنحاء. انظر: في ربوع عسير لمحمد عمر رفيع ص(218).

واعتقلوا المناصب »[5]. وذلك لما وجد عليه الناس بحضرموت من الضلال والجهل العميق. وقد ذكرت بعض المصادر أن أولئك الدعاة السلفيين كانوا يهدمون رؤوس القباب [2] إشعاراً بخرابها وإقلالاً من شأنها[3]. وذلك ربما لكثرتها وسعة انتشارها. ولم يكتف أولئك الدعاة في تلك الفترة بهدم القباب فحسب، بل أوجدوا من الدعاة بحضرموت من يبث الدعوة ويدعو إليها[4]، وذلك يشير إلى مدى اتساع أثر هذه الدعوة السلفية بحضرموت وما حولها في تلك الفترة في مجال تطهير الاعتقاد ونبذ البدع، ولعل ذلك ما دعا أحد علماء حضرموت أن يقول مشيراً إلى أولئك الدعاة السلفيين: « لو لم يقيض الله أولئك القوم لتلك النهضة لعكف الناس على القبور »[5].

ويبدو أن اهتمام أمراء الدعوة السلفية ودعاتها بهدم القباب وإزالتها في جنوبي الجزيرة العربية، قد عمَّ بلدان اليمن، وأصبح من الأعمال المحببة عند أولئك الدعاة، فقد أثبتت المصادر أن أمراء عسير عندما دخلوا تهامة اليمن عام 1221هـ باشروا هدم قبة جامع بيت

---

1 () صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية، ص(141).
2 () عبدالله بن محمد السقاف، كتابه السابق، ص(115).
3 () فهي لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً.
4 () صلاح البكري، كتابه السابق، ص(141).
5 () مجلة المنار ج 11، مج 9، ذو القعدة 1324، ص(827).

الفقيه[1]، كذلك دلت هذه المصادر على رغبة أولئك الأمراء في تطهير المعتقدات وتنقيتها، إذ أنهم ظلوا حريصين على تثقيف الناس وإصلاح معتقداتهم بتلك الأنحاء، فقد عمد الأمير علي بن مجثل المغيدي عام 1247هـ، إلى هدم عدد من المشاهد والمزارات بضواحي مور[2]، كما اتضح من بعد ذلك هدم بعض القباب خارج مدينة تعز عام 1250هـ/1834م[3]. وكان أثر الدعوة السلفية في مجال البدع الأخرى واضحاً من قبل، إذ كان محمد بن إسماعيل الأمير يؤيد قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بإحراق كتاب دلائل الخيرات[4]، كما برز موقف محمد بن علي الشوكاني من الصوفية وطرقهم، حين ذم أفعالهم المبتدعة، وألف فيهم رسالته الموسومة « بالصوارم الحداد »[5]، وكل ذلك يدل على استمرار أثر هذه الدعوة بتلك النواحي من جزيرة العرب خلال تلك الحقبة.

وربما كان لقضاء الترك والمصريين على أمراء الدعوة السلفية في نجد أثر في إضعاف نشاطها بهذه الجهات، إذ دلت المصادر اليمنية على غبطة

---

1 () عبدالله علي مسفر، السراج المنير ص(58).

2 () هاشم سعيد النعمي، كتابه السابق، ص(179) [تاريخ عسير].

3 () أحمد أحمد النعمي، تاريخه، ورقة 210.

4 () ديوانه، ورقة 56.

5 () أدب الطلب، ص(173، 175).

نفر من علماء اليمن حيال ذلك المصير، حيث بدأت منذ ذلك الحين تظهر مواقفهم تجاه هدم القباب ونحوها، فقد زعم أحد أولئك العلماء أن الدافع وراء هدمها من قبل السلفيين يكمن في الرغبة « لما فيها من الفضة والذهب »[1]، ودلل على ذلك بآيات من القرآن الكريم[2]. وكان هذا التعصب والتمادي في الباطل سبباً في تعطيل نشاط هذه الدعوة وإضعاف تأثيرها فيما بعد، فالواقع أن إقامة القباب على القبور وجعلها مكاناً للعبادة ينافي حقيقة الشريعة الإسلامية[3]، بما يجعلها « من علامات الكفر »[4]، وأن من استغاث بالصالحين أو دعاهم لكشف ضر أو نحوه فقد أشرك[5]. وذلك ما جعل أثر الدعوة السلفية في اليمن يقل ويضمحل إلى حد كبير، إذ لم يكد هذا الأثر يظهر مرة أخرى بوضوح إلا في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري وما بعده ».

إلى أن قال: « ويبدو أن الأثر الحقيقي لهذه الدعوة السلفية في مجال تطهير الاعتقاد وذم البدع

---

1 **() مجموع (129)، المكتبة الغربية بجامع صنعاء، ورقة (138).**

2 **() مجموع (129)، المكتبة الغربية بجامع صنعاء، ورقة (138).**

3 **() محمد بن عبدالوهاب، كتاب التوحيد، ص(95-100).**

4 **() مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ج 1، ص(246).**

5 **() المصدر نفسه، ج 4، ص(48، 49).**

بنواحي اليمن، قد كان في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، ذلك لتبصر أهل اليمن عندئذ في أمور دينهم، واتصال العلماء منهم بغيرهم من علماء نجد، ورغبة طلبة العلم عندهم في الرحيل إلى خارج بلدانهم في سبيل العلم. ولعل ما يُشاهد الآن من انتشار كتب السنة وتدريسها في جامع صنعاء الكبير[1]، ووفرة المساجد السلفية بصنعاء[2]، يدل بوضوح على أثر هذه الدعوة المحمود.

وقد كان من أثر الدعوة السلفية في اليمن، أن وجدت الرغبة الأكيدة لدى كثير من أبناء اليمن في النزوح إلى نجد، وطلب العلم فيها، فقد وفد من أولئك الرجال على سبيل المثال: أحمد بن سنان اليماني (-1339هـ) عام 1335هـ في نفر من أهل بلدته قَهْلان[3]، إذ بلغ عدد المهاجرين في سبيل العلم من بعد ذلك إلى نجد ما يقارب خمسمائة رجل معظمهم من قبيلة الحداء بمخلاف الكُمَيم، وقد كانت نتائج تلك الرحلات مثمرة ناجحة، إذ استجاب أهلها لتعاليم

---

1 () زيارة علمية إلى صنعاء في عام 1400هـ، 1402هـ.

2 () مقابلة شخصية مع أحمد محمد زبارة (صنعاء 17/11/1402هـ).

3 () صالح محمد الغفيلي، « الشيخ محمد بن عبدالوهاب »، مجلة الجندي المسلم، ع 20، ص 6، 1399هـ، ص(70). وقد ذكر محمد بن أحمد بن سنان أن أباه وفد إلى نجد سنة 1325هـ في جملة من أصحابه.

هذه الدعوة وأصبحت قراها خالية من المشاهد والمزارات، حيث نبذ رجالها المعتقدات الباطلة، وهدموا ما يثير الشبه حول تقديس القبور من القباب ونحوها[1].

كذلك نجم عن أثر هذه الدعوة السلفية في اليمن، أن أقبل الناس في بلدان مختلفة بتلك الأنحاء على تطهير معتقداتهم، والتخلص مما علق بأذهانهم من شوائب الشرك والاعتقاد في غير الله، فقد سعى صالح بن حسين أبوحيدر في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري إلى نهي الناس عن التبرك ببعض القبور بهمدان، والاعتقاد فيها، كما أن رجالاً من غيل همدان نفسه، قد خلعوا التابوت الذي كان موجوداً بمسجد عبيد ببلدتهم، إذ فتن الناس به من أهل همدان وغيرها، وكانوا ينادونه يا عبيدة[5] ونحوه، وتلك الأعمال دون شك من آثار الدعوة السلفية باليمن في مجال تطهير الاعتقاد ونبذ البدع، إذ أن بروز هذا الجانب في نشاط الدعوة السلفية بتلك الأنحاء يدل على اهتمام دعاتها والقائمين عليها بدفع هذا الباطل من أن يمس العقيدة ووحدانية الله، مما أوجد أثراً حقيقياً في بقية أنواع البدع الأخرى[3] التي بدأ الناس في اليمن يهذبون

---

1 () المصدر نفسه، ص(67، 68، 70).

2 () مقابلة شخصية مع يحيى أحمد صالح أبوحيدر (الرياض في 18/5/1402هـ).

3 () مثل الرجبية وغيرها.

أنفسهم من درنها ويتخلصون من شيوعها في مجتمعاتهم.

ومما تقدم يتجلى أثر هذه الدعوة السلفية في هذه المجتمعات الواسعة من جنوبي الجزيرة العربية. وذلك على الرغم من وفرة الاتجاهات الدينية وتعدد المعتقدات الباطلة في غير الله، فقد تفاوتت أزمان ذلك التأثير ومراحله، إذ بدأ منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري، ثم انحسر مده السياسي والديني فلم يبق أثره إلا في عسير وما حولها، وما لبث أن عاد مرة أخرى في غضون القرن الرابع عشر الهجري، حيث جدد الملك عبدالعزيز آل سعود أمر هذه الدعوة، ودعا إلى نبذ ما يخالفها في القول والعمل، مما جعل فائدتها تعم أرجاء الجزيرة العربية، وتؤثر في مدارك الناس، فقد تخلوا عما ألفوه من البدع والمعتقدات الباطلة من قبل، وأخذوا في العمل بالكتاب والسنة " بدلاً من الأعراف والعادات وتحكيم الأشخاص"[1] »[2].

وعن أثر الدعوة في العالم الإسلامي يقول الدكتور محمد كامل ضاهر:

---

1 () عطية محمد سالم، دعـوة الشـيخ محمـد بـن عبـدالوهاب وأثرها، ص(30).

2 () أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فـي الفكـر والأدب بجنــوبي الجزيــرة العربيــة للــدكتور عبــدالله ابــن محمــد أبوداهش 88-96 (مع الهوامش بتصرف يسير).

« لم يقتصر أثر الدعوة الوهابية على الحركة الإصلاحية في مصر، بل تعداه إلى كثير من المثقفين المسلمين في أقطار إسلامية أخرى كسوريا والعراق والمغرب العربي واليمن والهند. وقد احتل بعض هؤلاء مراكز كبرى في حقل التعليم الإسلامي في حلب ودمشق وطرابلس والقدس والهند.

كانت مواسم الحج السنوية فرصاً ثمينة يتحينها الوهابيون لشرح أفكارهم للحجاج المسلمين القادمين إلى مكة من مشارق الأرض ومغاربها، وتبادل الآراء معهم في الدين والدنيا. واستطاعوا بهذه الوسيلة إقناع بعض الشخصيات الإسلامية بأفكارهم، وترتب على ذلك قيام حركات إصلاحية إسلامية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متأثرة إلى حد كبير بمبادئ الدعوة الوهابية وأفكارها.

ففي اليمن، كان الإمام الزيدي محمد بن عبدالله الشوكاني الصنعاني (1172-1250هـ 1758-1834م) معاصر للشيخ محمد بن عبدالوهاب ويدعو مثله إلى محاربة البدع والخرافات، والثورة على التقليد والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد، والرجوع في العقائد إلى مذهب أهل السلف، وفهم الصفات الإلهية المذكورة في القرآن على ظاهرها، وترك التأويل والتحريف فيها. وكتب في ذلك رسالة

بعنوان: "التحف بمذهب السلف" ».

« يبدو أن الإمام الشوكاني كان على اطلاع واسع بمبادئ الدعوة الوهابية وتعاليمها؛ لأن أفكاره إنما تعبر تعبيراً يكاد يكون حرفياً عن تعاليم هذه الدعوة. ويتضح ذلك في القصيدة الطويلة التي رثى فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب عندما بلغه نبأ وفاته وبيّن فيها مدى احترامه لـه وتفجعه عليه. ولا يذكر المؤرخون شيئاً عن أي لقاء تم بين الإمامين ».

أثر الدعوة في مسلمي الهند:

تحتل الهند مكاناً مميزاً في دراسة نمو الأفكار الدينية وتفاعلها نظراً لتعدد أجناس سكانها ومعتقداتهم المختلفة.

وجد الوهابيون في هذا المجتمع تربة خصبة لبث أفكارهم بين المسلمين والهنود الذين تتفشى بينهم صور شتى من البدع والخرافات المأخوذة عن طقوس وعقائد الديانات الهندية الأخرى. وقد وصلت التعاليم الوهابية إلى تلك البلاد عن طريق زعيم إسلامي هندي يدعى السيد أحمد بن عرفان البرلوي (1786-1831م) الذي وفد إلى الحج في أوائل القرن التاسع عشر واعتنق خلاله الأفكار الوهابية. ولما عاد إلى بلاده أصبح من أكبر دعاة هذه الأفكار، وقام بنشرها في البنجاب وأنشأ دولة وهابية فيها، وامتد سلطانه حتى هدد شمال الهند حيث تقطن طائفة

السيخ.

كان السيد أحمد البرلوي ذا حمية شديدة في الدين، فعمل على تطهير الإسلام من أدران الشرك التي شوهته تشويهاً صارخاً، مثل عبادة الأولياء وما يتصل بها من التقاليد الخرافية الوثنية ونادى بإعادة الحياة الإسلامية إلى بساطتها الأولى كما كانت أيام النبي وصحابته. ثم قام بحملة دينية واسعة النطاق بين الهنود لترغيبهم في اعتناق الإسلام. توفي سنة 1831 خلال حملته على طائفة السيخ في شمال الهند، لكن أفكاره الدينية ظلت قوية الأثر بين المسلمين الهنود، وتابع تلاميذه حركته الإصلاحية، فأنتجوا أدباً دينياً ضخماً، كتبوه باللغة الأوردية ليضمنوا نشر تعاليمهم بين الشعب، كما آثر أتباعه الاشتغال بالنشاط التجاري وعدم الالتحاق بالوظائف الحكومية تحت حكم الانجليز.

أثر الدعوة في بلاد الشام والعراق:

كان للدعوة الوهابية أنصار كثيرون بين علماء بلاد الشام في بداية هذا القرن، ومن أشهرهم الشيخ جمال الدين القاسمي الذي قاضته الحكومة التركية بتهمة العمل على نشر مبادئ الدعوة الوهابية وإذاعتها بين الناس. وهناك أيضاً المشايخ: عبدالرزاق البيطار - وطاهر الجزائري، ومحمد كامل القصاب، وحسين الجسر، وعبدالقادر المغربي، والأمير شكيب

أرسلان الذين درسوا تعاليم الدعوة الوهابية وقدروها تقديراً كبيراً، إذ وجدوا فيها صورة عن تعاليم الإسلام الحقيقية، فعملوا على نشر مبادئها في سوريا.

وفي العراق عرف عن الألوسيين: أبوالثناء شهاب الدين محمود الألوسي (1853-1082)، ومحمود شكري الألوسي (1856-1924) تأثرهما الشديد بمبادئ الدعوة الوهابية وأفكارها. ويبدو ذلك واضحاً في كتاب الأول: « روح المعاني » الذي دعا فيه إلى اتباع أهل السلف في مسائل العقيدة وتنقية الإسلام مما علق به من الشوائب، وإنكار التوسل لغير الله أو التشفع بأهل القبور.

أما محمود شكري الألوسي فكان مصلحاً دينياً سلفياً « جمع بين مبادئ الدعوة الوهابية في الرجوع إلى القرآن والسنة ومحاربة البدع الدينية والطرق الصوفية من ناحية وبين مبادئ النهضة العلمية العربية الحديثة في الاهتمام بالعلوم غير الدينية مثل التاريخ والفلك من ناحية أخرى. من مؤلفاته « تاريخ نجد » الذي تناول فيه تاريخ نجد المعاصر وسيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

أثر الدعوة الوهابية في المغرب العربي والسودان:

وعن طريق الحج أيضاً انتقلت أفكار الدعوة الوهابية إلى المغرب العربي. إذ حملها إليه السيد محمد بن علي السنوسي (1787-1859) بعد عودته من

مكة إلى وطنه الجزائر متأثراً بتعاليمها، وأخذ ينشرها بين أبناء بلده. وبعد ذلك انتقل إلى برقة بليبيا حيث أسس طريقة دينية خاصة، فيها الكثير من الأفكار الوهابية، مثل ضرورة الرجوع إلى بساطة الإسلام الأولى التي كان عليها الرسول وصحابته، وتنقية العقيدة من البدع والخرافات التي شوهتها. ولكن تأثر السنوسية بالمفاهيم الصوفية بعد ذلك أبعدها عن فلك التعاليم الوهابية وأهدافها.

وتتفق الدعوتان أيضاً في الأخذ بالاجتهاد ومحاربة البدع بجميع صورها. وتختلفان في أن الحركة الوهابية لجأت إلى الجهاد لنشر تعاليمها وهداية الناس إلى أفكارها بينما سلكت الحركة السنوسية الطريق الصوفي. وقد أعجب بمبادئ الدعوة أيضاً سلطان مراكش سيدي محمد بن عبدالله الذي كان يقول: إنني مالكي المذهب وهابي المبدأ[1]. كما تأثر بها صاحب الدعوة المهدية في السودان محمد بن أحمد بن السيد عبدالله (1885م) كما نجد أثرها الواضح في مؤلفات المفكر الجزائري المعروف مالك بن نبي.

أثر الدعوة في الحياة الأدبية للجزيرة العربية:

اعتنق سكان الجزيرة العربية أفكار الدعوة الوهابية

---

1 **() انظر كتاب:** CH.A. Julien: Histoire de I, Afrique du nord payot-paris **.1966. P: 243**

وتشددوا فيها، بعد أن زرعت فيهم بعض الثقافة، رغم أميتهم، لكنها كانت ثقافة دينية محورها تعاليم الدعوة، وأفكار ابن تيمية ومذهب أحمد بن حنبل. واستطاعت تعاليم هذه الدعوة أن تدفع الناس إلى حل قضاياهم عن طريق الشرع والقضاء بدلاًمن وسائل العنف والعادات القبلية. كما استطاعت أن تقضي على حياة التشرد والترحال في البادية، وتغل أيدي اللصوص والمجرمين الذين كانوا يعيثون فساداً في مختلف مناطق الجزيرة. ثم شجعت البدو على الاستقرار في مناطق زراعية بعد أن هيأت لهم المنازل ووسائل العيش الكريم. وقد ربطت الدعوة الوهابية اتباعها بالله مباشرة، وعلمتهم ألا يرهبوا أحداً سواه، وطردت من عقولهم صور الجن والخرافات والأوهام، ومنعتهم من الوقوف المذل أمام الأحجار والقبور والأشجار للتوسل والاستغاثة، وعودتهم ألا يطلبوا ذلك إلا من الله وحده...

لم تقتصر آثار الدعوة على هذه المسائل فقط، بل كان لها أثر كبير في الحركة الفكرية في الجزيرة العربية خلال القرن الثامن عشر. ففي مراحلها الأولى ظهر بعض الشعراء والمؤرخين الذين اعتنقوا مبادئها، وأخذوا يدافعون عنها ويهاجمون خصومها. وكان في طليعة هؤلاء من المؤرخين عثمان بن بشر، وحسين بن غنام مؤرخا الدعوة المشهورين »[1].

---

[1] **() الدعوة الوهابيَّة وأثرها في الفكر الإسلامي الحــديث، د.**

وبعد: فإن هذه الثمار الطيبة والنتائج المباركة قد ملأت سمع العالم وبصره ودان بها الموافق، واعترف بها المخالف، وإن جحدها المعاند والحاسد فلا يضرها ذلك. وهي بحد ذاتها الرد والجواب العلمي والعملي، والمنطقي والواقعي، على سائر الشبهات والمفتريات، والدعاوى والاتهامات التي قيلت حول الدعوة، وإمامها وعلمائها ودولتها (الدولة السعودية في كل مراحلها) وأتباعها ومؤيديها.

فإنها بحمد الله الشجرة الطيبة التي قالت الحق، وعملت بالحق، ودعت إلى الحق، وأثمرت الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟

تنبيـه:

أثر الدعوة على الدعوات التي عاصرتها، والتي جاءت بعدها إلى اليوم أثر مؤكد لا شك فيه ويتفاوت في درجته قوة وضعفاً، ومطابقة ومخالفة بحسب نوع التأثر والتأثير، واختلاف العوامل المؤثرة.

والذي يظهر لي أن هناك من الدعوات من يسير على المنهج في العموم كبعض أهل الحديث، وأنصار السنة في مصر والسودان.

وبعض الجماعات السلفية المعتدلة في سائر

محمد كامل طاهر 199-205 باختصار.

العالم الإسلامي اليوم. وغالباً نجد هذه الفئات تُعَيّرُ من قِبَلِ أهل البدع والأهواء بأنها وهابية ولاشك أن هذه تزكية غالية لمن كان على المنهج السلفي الحق.

لكنا هناك من بالغ في تأثير الدعوة على بعض الأشخاص أو بعض الحركات الإصلاحية.

كالمهدية في السودان، والسنوسية في شمال أفريقية، وحركة عثمان بن فودي، وحركة محمد عبده، وبعض الحركات الإصلاحية في الهند.

إلى حد أن اعتبرها بعضهم مطابقة تماماً أو على الأغلب لدعوة الشيخ الإمام محمد عبدالوهاب.

والحق أنه لم تكن هناك دعوة تحمل المنهج نفسه تماماً عقيدة وعملاً، إنما تأثرت أكثر الدعوات، في بعض المبادئ العامة مثل نزعة الإصلاح العام، ونبذ المنكرات والتحرير من التقليد والعصبية والمذهبية. والنزوع إلى تطبيق الشريعة والحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد[1]، أما الخاصية الكبرى لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهي: الدعوة إلى التوحيد والعقيدة السلفية النقية الصافية،

---

[1] **() ناقش هذه المسألة: الدكتور صالح بن عبدالله العبود في كتابه (عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية) (2/918).**

وانظر: دعاوى المناوئين للدكتور عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف (24).

ونبذ الشركيات والبدع ومحاربتها بجد وحزم، فإن الذين حملوا هذه الرسالة بهذه المستوى من الدعاة والحركات قليل. والله أعلم.

تقريب المخالفين للحق:

من الآثار العامة الطيبة لهذه الدعوة المباركة أنها جرَّت بعض المخالفين إلى الاقتراب من مناهج الحق قليلاً أو كثيراً بحسب الأحوال. ومن ذلك أنها لفتت أنظارهم إلى أهمية الاستدلال بالنصوص الشرعية وآثار السلف الصالح والتحاكم إليها وترك بعض الانحرافات في التلقي والاستدلال، كالاعتماد على ما ليس بدليل كالكشف والذوق، والوجد، والرؤى والأحلام، والخوارق، ودعوى العصمة للرجال. والاستدلال بالحكايات والأحاديث الموضوعة والضعيفة فإن أكثر الفرق والأشخاص الذي يعولون على هذه الأوهام صار بعضهم يقلل من هذا المسلك، ويستحي منه.

كما جرتهم الدعوة إلى ترك التعصب والتقليد الأعمى للمذاهب والأشخاص وعلقتهم بالعلم الشرعي، والاهتمام بالسنن، وبالبحث والتأليف والاستنباط.

إن المخالفين من الفرق والأفراد والمذاهب والطرق وإن لم يستجب كثير منهم إلى الحق والسنة، بل بعضهم زاد عتواً وغلواً وإصراراً على الباطل. إلا

أنهم صار كثير منهم لديه الاستعداد للحوار الجاد وخففوا من غلوهم، وصححوا بعض عقائدهم ومناهجهم، أو عدَّلوها، وهذا ولا شك تخفيف للشر، وذلك من مطالب الدين وغايات الدعوة المرحلية